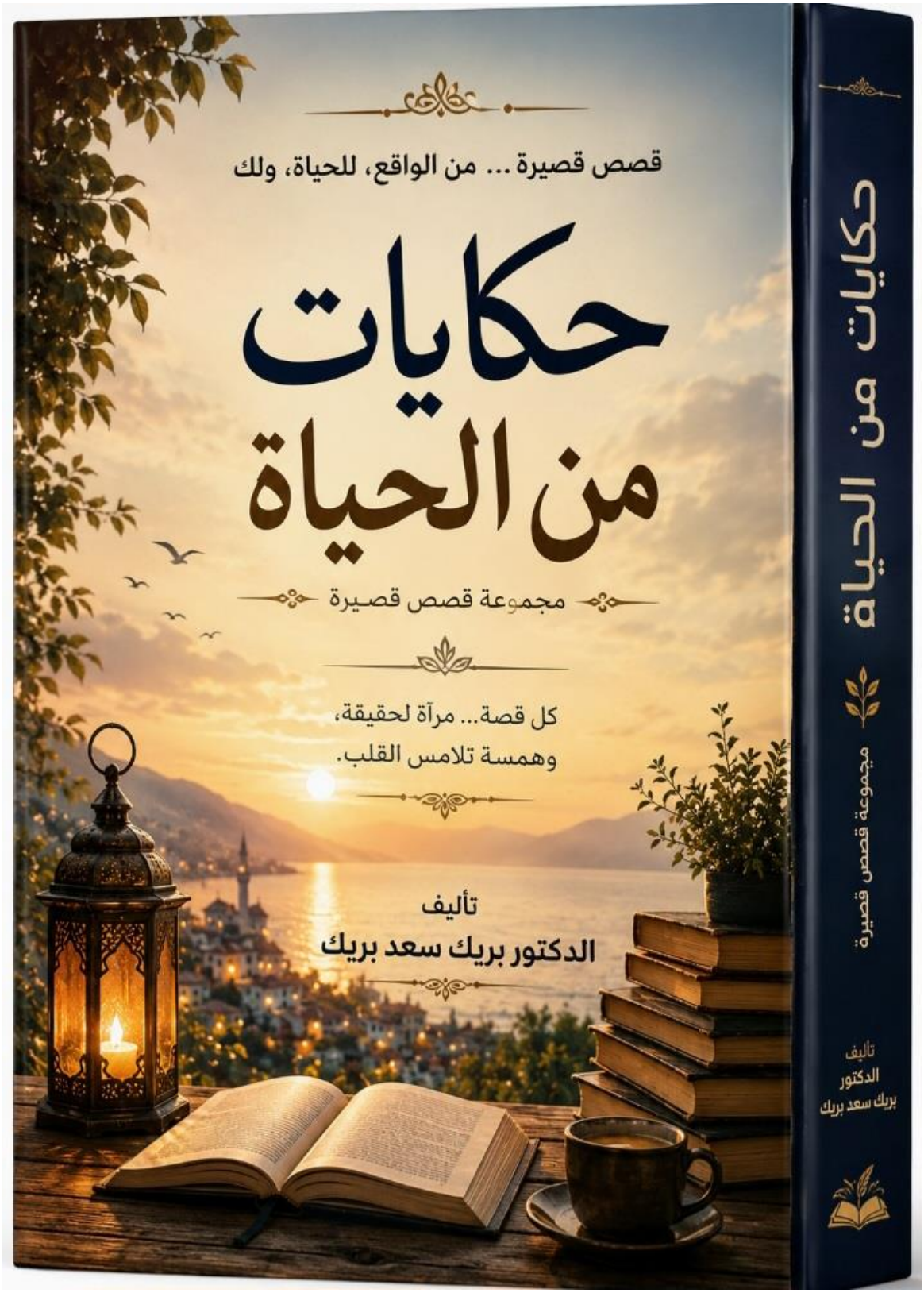
قصص قصيرة ... من الواقع، للحياة، ولك
حكايات من الحياة
مجموعة قصص قصيرة
كل قصة... مرآة لحقيقة،
وهمسة تلامس القلب.
تأليف
الدكتور بريك سعد بريك
حكايات من الحياة
مجموعة قصص قصيرة
تأليف
الدكتور
بريك سعد بريك

بسم الله الرحمن الرحيم

حكايات من الحياة

مجموعة قصص قصيرة ذات مغزى

تأليف

الدكتور بريك سعد بريك

مقدمة

ليست الحياة مجموعة من الأيام التي تمر بنا فحسب، وإنما هي مجموعة من الحكايات التي نصنعها ونعيشها، ثم نحمل آثارها في ذاكرتنا وقلوبنا.

قد تمر بنا قصة قصيرة في دقائق، لكنها تترك في النفس أثرًا لا يزول سنوات طويلة. وقد نلتقي إنسانًا لا نعرف عنه شيئًا، ثم تكون كلمته أو موقفه سببًا في تغيير حياتنا. وربما يكون موقف صغير، لا نلقي له بالًا، هو بداية طريق جديد لم نكن نتوقعه.

وفي هذا الكتاب جمعت عددًا من القصص القصيرة التي تستلهم أحداثها من الحياة اليومية، ومن مشاعر الإنسان وآماله وأحزانه، ومن علاقته بأسرته وأصدقائه ومجتمعه.

ليست كل القصص هنا أحداثًا واقعية بحذافيرها، وإنما بعضها من نسج الخيال، لكن جميعها تحاول أن تلامس شيئًا حقيقيًا في النفس البشرية.

ستجد في هذه الصفحات قصة عن الأمل، وأخرى عن الوفاء، وثالثة عن الندم، ورابعة عن بر الوالدين، وأخرى عن الفقر والغنى، والصداقة والخيانة، والحب والفقد، والتوبة والتسامح.

وربما يجد كل قارئ نفسه في إحدى هذه القصص.

فبعضنا قد يكون هو الرجل الذي أضاع فرصة ثمينة، وبعضنا قد يكون ذلك الأب الذي انتظر طويلًا، وبعضنا قد يكون صديقًا لم يعرف قيمة صديقه إلا بعد فوات الأوان.

والحياة، في النهاية، لا تعطي دروسها دائمًا بالكلمات، بل أحيانًا تعطيها في صورة موقف، أو شخص، أو فراق، أو فرصة.

وهذه بعض الحكايات...

القصة الأولى

الرغيف الأخير

كان يجلس في آخر الشارع كل صباح، أمام عربة صغيرة يبيع عليها الخبز.

لم يكن أحد يعرف اسمه الحقيقي، فقد اعتاد الناس أن ينادوه: العم سالم.

كان رجلًا في أواخر الستينيات، نحيل الجسد، هادئ الصوت، لا يكاد يتحدث إلا قليلًا. وفي كل صباح كان يرص الأرغفة بعناية، ثم يجلس ينتظر الزبائن.

وذات صباح بارد، جاءه صبي صغير.

وقف أمام العربة طويلًا، ثم قال:

— عمو سالم... ممكن رغيف؟

ابتسم سالم وقال:

— طبعًا يا بني.

أعطاه رغيفًا ساخنًا.

مد الصبي يده، ثم تراجع.

قال سالم:

ـــ مالك؟

قال الصبي بخجل:

ـــ معايا نص جنيه بس.

ضحك سالم وقال:

ـــ والرغيف بكام؟

قال الصبي:

ـــ بجنيه.

فقال سالم:

ـــ النهارده عندي خصم مخصوص للأطفال.

وأعطاه الرغيف.

أخذ الصبي الرغيف وجرى.

ظل سالم يتابعه بعينيه حتى اختفى في نهاية الشارع.

في اليوم التالي جاء الصبي مرة أخرى.

وفي اليوم الثالث أيضًا.

وبعد أسبوع بدأ سالم يلاحظ أن الصبي لا يأكل الرغيف أمامه، وإنما يأخذه ويذهب مسرعًا.

قرر أن يتبعه.

وجد الصبي يدخل إلى منزل قديم في أحد الأزقة.

دخل وراءه، فوجد امرأة مريضة تجلس على فراش بسيط.

قالت المرأة:

ـــ رجعت يا ابني؟

قال الصبي:

ـــ أيوه يا أمي، وجبت لك العيش.

فهم سالم كل شيء.

عاد إلى عربته دون أن يخبر الصبي أنه عرف الحقيقة.

وفي صباح اليوم التالي، وضع سالم كيسًا كبيرًا من الخبز على العربة.

وعندما جاء الصبي قال له:

ـــ خد الكيس ده.

قال الصبي:

ـــ ليه؟

قال سالم:

ـــ عندي عيش زيادة.

قال الصبي:

ـــ بس ده كتير!

ابتسم سالم:

ـــ وأنا عندي قلب بيحب يدي.

مرت الأيام.

ثم اختفى الصبي فجأة.

سأل سالم عنه فلم يعرف أحد شيئًا.

وبعد عشرين عامًا، كان سالم قد أصبح شيخًا كبيرًا، وأغلق عربته بعدما ضعف جسده.

وفي أحد الأيام، طرق باب منزله شاب أنيق.

قال:

ـــ حضرتك العم سالم؟

قال:

ـــ أيوه.

ابتسم الشاب وقال:

ـــ أنا الولد اللي كنت بتديله الرغيف زمان.

نظر سالم إليه طويلًا، ثم عرفه.

احتضنه الشاب وقال:

ـــ أمي ماتت بعد سنوات، لكنها كانت دائمًا تدعي لك.

ثم أخرج ظرفًا ووضعه أمام سالم.

قال سالم:

ـــ إيه ده؟

قال:

ـــ افتحه.

فتح سالم الظرف، فوجد مبلغًا كبيرًا من المال.

قال:

ـــ أنا مش محتاج ده.

فأجابه الشاب:

ـــ أنا مش برد لك ثمن الرغيف يا عم سالم... أنا بس بحاول أرد لك جزءًا من الخير اللي عملته معايا.

سكت سالم، ونزلت دمعة من عينه.

قال الشاب:

ـــ أنت ما كنتش بتديني رغيف عيش... أنت كنت بتعلمني إن الدنيا لسه فيها خير.

العبرة

قد ترى ما تعطيه صغيرًا، بينما يراه غيرك بداية حياة كاملة.

لا تستهين بالمعروف، فربما كان موقفك البسيط سببًا في تغيير حياة إنسان إلى الأبد.

القصة الثانية

الساعة القديمة

كان "حسن" يكره الساعة القديمة التي تركها له والده.

كانت ساعة جيب صغيرة، ذات غطاء فضي، متوقفة منذ سنوات.

كلما رآها تذكر أباه.

وكانت تلك الذكرى تؤلمه.

فقد مات والده وهو في العشرين من عمره، بعد سنوات طويلة من العمل الشاق.

كان الأب رجلًا بسيطًا، لا يملك الكثير، لكنه كان يقول دائمًا لابنه:

— يا حسن، أهم حاجة في الدنيا إنك تبقى راجل كويس.

كان حسن يظن أن والده لا يفهم شيئًا عن الحياة.

كبر حسن، ونجح في عمله، وانتقل إلى مدينة أخرى، وأصبح لديه منزل وسيارة ومكانة اجتماعية.

لكنه لم يعد يزور أمه إلا قليلًا.

وذات مساء اتصلت به أخته:

— حسن، تعالى بسرعة... أمي تعبانة.

سافر في اليوم التالي.

دخل غرفتها، فوجدها ضعيفة.

ابتسمت عندما رأته.

قالت:

ـــ أبوك كان نفسه يشوفك ناجح.

قال حسن:

ـــ أنا نجحت فعلًا.

ابتسمت وقالت:

ـــ أيوه... بس كان نفسه يشوفك إنسان قبل ما يشوفك ناجح.

سكت حسن.

ثم أخرجت من درج صغير الساعة القديمة.

قالت:

ـــ دي كانت بتاعة أبوك.

أمسكها حسن.

ولأول مرة منذ سنوات، شعر بأنه يفتقد والده بشدة.

أخذ الساعة إلى أحد المتخصصين لإصلاحها.

وبعد أيام عاد بها إلى منزله.

عندما فتح الغطاء وجد نقشًا صغيرًا لم يلاحظه من قبل:

"إلى ابني حسن... لا تجعل الوقت يأخذك مني."

جلس حسن طويلًا يبكي.

ومنذ ذلك اليوم تغير شيء بداخله.

صار يزور أمه كل يوم تقريبًا.

وعندما توفيت بعد سنوات، ظل يحتفظ بالساعة.

لم تعد الساعة بالنسبة إليه قطعة قديمة.

كانت تذكيرًا دائمًا بأن الإنسان قد يملك الوقت، لكنه لا يملك فرصة استعادته.

العبرة

بعض الأشياء لا ندرك قيمتها إلا بعد أن نفقد أصحابها.

لا تؤجل زيارة، ولا كلمة حب، ولا اعتذارًا، ولا جلسة مع من تحب.

فالوقت الذي يذهب لا يعود.

القصة الثالثة

الباب المغلق

كان "عادل" قد خسر وظيفته.

ثم فشل مشروعه الصغير.

ثم تراكمت عليه الديون.

وفي أحد الأيام جلس أمام زوجته وقال:

ـــ أنا فشلت في كل حاجة.

قالت له:

ـــ أنت فشلت في مشروع، مش في الحياة.

ضحك بحزن:

ـــ الكلام سهل.

قالت:

ـــ والصبر أصعب، لكنه هو اللي بيصنع الناس.

خرج عادل في الصباح يبحث عن عمل.

طرق أبوابًا كثيرة.

وفي كل مرة كان يسمع:

"سنرد عليك."

لكنهم لم يتصلوا.

مر شهر.

ثم شهر آخر.

وفي أحد الأيام، وقف أمام شركة كبيرة، وطرق الباب.

قال له الحارس:

ـــ الوظائف خلصت.

قال عادل:

ـــ أنا مش جاي أقدم على وظيفة.

استغرب الحارس:

ـــ أمال جاي ليه؟

قال:

ـــ عايز أقابل المدير.

ضحك الحارس:

ـــ المدير مش بيقابل حد.

قال عادل:

ـــ أنا هقف هنا لحد ما يخرج.

وبالفعل وقف.

مر ساعتان.

ثم ثلاث.

وأخيرًا خرج المدير.

سأل:

ـــ مين ده؟

قال الحارس:

ـــ بيقول إنه عايز يقابلك.

قال المدير:

ـــ خليه يدخل.

دخل عادل.

قال المدير:

ـــ الوظائف كلها مشغولة.

قال عادل:

ـــ أنا عارف.

ـــ أمال إيه اللي جابك؟

قال:

ـــ لأنكم ممكن تحتاجوا واحد ما بيستسلمش.

نظر المدير إليه طويلًا.

ثم ابتسم.

قال:

ـــ عندك حق.

وبعد دقائق سأله عن خبرته.

وفي نهاية المقابلة قال له:

— عندنا وظيفة بسيطة، لكنها بداية.

قبل عادل.

وبعد سنوات أصبح مديرًا في الشركة نفسها.

وفي يوم من الأيام مر بجوار الباب الذي وقف أمامه طويلًا.

ابتسم.

وقال لنفسه:

"كنت أظن أن الباب كان مغلقًا في وجهي، ولم أفهم وقتها أنه كان ينتظر مني أن أطرقه بطريقة مختلفة."

العبرة

الفشل ليس أن يُغلق أمامك باب، وإنما أن تقتنع أن جميع الأبواب قد أُغلقت.

إذا أُغلق طريق، فابحث عن طريق آخر، وإذا لم تجد، اصنع لنفسك طريقًا.

القصة الرابعة

آخر مكالمة

كان "محمود" مشغولًا دائمًا.

العمل، الاجتماعات، الهاتف، السفر...

وكان والده يتصل به كثيرًا.

في كل مرة كان محمود يقول:

— معلش يا أبي، أنا مشغول دلوقتي.

فيقول الأب:

ـــ طيب يا ابني، لما تفضى كلمني.

لكن محمود كان ينسى.

وفي ليلة ممطرة، رن هاتفه.

كان المتصل والده.

نظر إلى الشاشة، وقال:

ـــ هكلمه بعدين.

ثم أغلق الهاتف.

بعد دقائق رن الهاتف مرة أخرى.

لكنه لم يرد.

وفي الصباح جاءه الخبر:

والده توفي.

جلس محمود مذهولًا.

فتح الهاتف.

وجد آخر مكالمة من والده.

حاول الاتصال.

طبعًا لم يجب أحد.

ظل ينظر إلى الرقم طويلًا.

ثم قال:

— يا ريتني رديت...

مرت الأيام.

لكن الجملة لم تفارقه.

"يا ريتني رديت."

لم يكن يريد مالًا من أبيه.

ولا كان والده يريد منه شيئًا.

كان يريد فقط أن يسمع صوته.

لكن محمود اكتشف متأخرًا أن بعض المكالمات لا يمكن تأجيلها.

العبرة

لا تؤجل من تحب.

قد تقول: "سأتصل به لاحقًا"، ثم يأتي يوم تتمنى فيه لو عاد الزمن دقيقة واحدة فقط.

القصة الخامسة

الرجل الذي كان يبتسم

كان الجميع يظنون أن "يوسف" أسعد رجل في الحي.

كان يبتسم دائمًا.

يسلم على الجميع.

يمزح مع الأطفال.

يساعد جيرانه.

وفي العمل كان أكثر الموظفين مرحًا.

لكن لا أحد كان يعرف ماذا يحدث عندما يعود إلى منزله.

كان يعيش وحده.

وكانت زوجته قد توفيت منذ سنوات.

وابنته الوحيدة تعيش في بلد بعيد.

وفي كل ليلة كان يجلس أمام صورة أسرته القديمة.

وفي إحدى الليالي طرق أحد الجيران بابه.

قال:

ـــ يا عم يوسف، ممكن أقعد معاك شوية؟

قال يوسف:

ـــ طبعًا.

جلس الشاب معه.

وبعد دقائق قال:

ـــ أنت دايمًا مبسوط.

ابتسم يوسف وقال:

ـــ مش دايمًا.

سأله:

ـــ أمال ليه بتضحك؟

قال يوسف:

ـــ لأن الناس عندها ما يكفيها من الهموم، ومش لازم أضيف لهم همي.

سكت الشاب.

ثم قال يوسف:

— وبعدين يا ابني، الابتسامة مش معناها إن الإنسان ما عندوش وجع... أحيانًا الابتسامة هي الطريقة اللي بيقاوم بيها الوجع.

ومنذ ذلك اليوم، لم يعد الشاب ينظر إلى ابتسامات الناس بالطريقة نفسها.

العبرة

لا تحكم على حياة الإنسان من ابتسامته.

هناك أناس يضحكون كثيرًا لأنهم يعرفون جيدًا معنى الحزن.

القصة السادسة

مقعد في آخر الحافلة

صعد رجل مسن إلى الحافلة، فلم يجد مكانًا يجلس فيه.

كان يحمل حقيبة صغيرة وثقيلة.

نظر حوله.

جلس بجواره شاب في العشرينات، واضعًا سماعات في أذنيه.

ظل الرجل واقفًا.

بعد دقائق توقفت الحافلة فجأة، فسقطت الحقيبة من يد الرجل.

انحنى الشاب والتقطها.

قال:

ـــ اتفضل.

ثم نظر إلى الرجل وقال:

ـــ تحب تقعد مكاني؟

قال الرجل:

ـــ لا يا ابني، اقعد أنت.

قال الشاب:

ـــ لا، أنا نازل كمان شوية.

وقف وأعطاه المقعد.

جلس الرجل.

وبعد دقائق قال:

ـــ ربنا يكرمك يا ابني.

ابتسم الشاب.

وعندما وصل الرجل إلى منزله، فتح حقيبته.

كانت تحتوي على بعض الأدوية.

ثم جلس على كرسيه، وأخرج ورقة صغيرة.

كانت مكتوبًا عليها:

"إلى ابني الوحيد... سامحني لأني لم أستطع أن أكون أبًا جيدًا."

كان الرجل ذاهبًا إلى المستشفى.

وكانت تلك آخر محاولة له لرؤية ابنه الذي قاطعه منذ سنوات.

في اليوم التالي، علم الشاب أن الرجل توفي.

لم يعرف الشاب أبدًا أنه كان آخر شخص أعطاه مقعدًا في حياته.

لكنه ظل يتذكر دعاء الرجل له سنوات طويلة.

العبرة

افعل الخير دون أن تنتظر معرفة أثره.

فربما يكون موقف صغير منك هو أجمل شيء حدث لشخص في يومه الأخير.

القصة السابعة

رسالة لم تصل

وجدت "ليلى" صندوقًا خشبيًا قديمًا في منزل جدتها.

كان مليئًا بالرسائل.

أخذت واحدة منها.

كانت مكتوبة منذ أكثر من ثلاثين عامًا.

قرأتها.

كانت من رجل إلى امرأة.

وكانت الكلمات مليئة بالاعتذار والندم.

سألت جدتها:

— الرسائل دي لمين؟

صمتت الجدة طويلًا.

ثم قالت:

ـــ كان فيه شخص زمان... أخطأت في حقه.

قالت ليلى:

ـــ وماردش عليكِ؟

قالت:

ـــ أنا اللي ما رديتش.

ـــ ليه؟

ـــ كنت صغيرة، وغاضبة، وكنت فاكرة إن العمر طويل.

سكتت.

ثم قالت:

ـــ لكن العمر مش دايمًا طويل يا ليلى.

أعطتها الرسائل.

وقالت:

ـــ عشان تعرفي حاجة مهمة: لما تحبي حد، ما تخليش الكبرياء يمنعك من الكلام.

بعد أيام توفيت الجدة.

احتفظت ليلى بالرسائل.

وكتبت على الصندوق:

"هناك كلمات لا ينبغي أن تنتظر الغد."

العبرة

الكبرياء قد يحفظ لك موقفًا، لكنه قد يحرمك إنسانًا تحبه إلى الأبد.

القصة الثامنة

دينار في الطريق

وجد "سامح" محفظة على الأرض.

فتحها.

وجد فيها مبلغًا كبيرًا من المال وبطاقة هوية.

كان بحاجة إلى المال بشدة.

قال لنفسه:

— محدش هيعرف.

لكنه تذكر أباه.

كان والده يقول له دائمًا:

— يا ابني، الفلوس اللي مش من حقك عمرها ما هتكون رزقك.

بحث عن صاحب المحفظة.

وجد عنوانه.

ذهب إليه.

فتح له رجل في الخمسينيات.

عندما رأى المحفظة، وضع يده على قلبه.

قال:

ـــ كنت فاكر إني ضيعت حياتي كلها.

استغرب سامح.

قال الرجل:

ـــ فيها أوراق مهمة، ولو ضاعت كنت هخسر شغلي.

أخرج مالًا وأعطاه لسامح.

رفض سامح.

قال:

ـــ أنا ما عملتش غير الواجب.

قال الرجل:

ـــ أنت عملت أكتر من الواجب.

ثم قال:

ـــ أنت رجعت لي حاجة أهم من الفلوس... رجعت لي ثقتي في الناس.

العبرة

الأمانة ليست أن يعجز الناس عن اكتشاف خيانتك، وإنما أن تقدر على الخيانة ثم تختار الأمانة.

القصة التاسعة

قبل أن تغيب الشمس

كان الشيخ "عبدالرحمن" يجلس كل عصر أمام المسجد.

وكان يردد دائمًا:

ـــ قبل ما تغيب الشمس، اعمل حاجة كويسة.

ذات يوم سأله طفل:

ـــ يعني إيه؟

قال:

ـــ يعني لو زعلت حد، صالحه قبل ما تغيب الشمس.

ـــ ولو حد محتاج؟

ـــ ساعده قبل ما تغيب الشمس.

ـــ ولو عملت غلط؟

ـــ اعتذر قبل ما تغيب الشمس.

ـــ ولو أنا زعلان؟

ابتسم الشيخ وقال:

ـــ سامح قبل ما تغيب الشمس.

كبر الطفل.

ومرت سنوات.

وفي يوم عاد إلى البلدة بعد غياب طويل.

وجد الشيخ قد مات.

ذهب إلى قبره.

جلس أمامه.

وتذكر كلمته القديمة:

"قبل ما تغيب الشمس."

نظر إلى السماء.

كانت الشمس تستعد للغروب.

فأخرج هاتفه واتصل بأبيه.

كان بينهما خلاف قديم.

قال:

— يا أبي... أنا آسف.

سكت الأب لحظات.

ثم قال:

— وأنا كمان يا ابني.

وبدأت الشمس تغيب.

لكن في قلبه، كان شيء جديد يولد.

العبرة

لا تنتظر الغد لتفعل الخير.

فربما تكون كلمة واحدة منك كافية لإصلاح علاقة ظننت أنها انتهت.

القصة العاشرة

الكرسي الفارغ

كان الكرسي الخشبي في شرفة المنزل لا يجلس عليه أحد.

منذ وفاة الأب، بقي كما هو.

كانت الأم تنظفه كل صباح، ثم تعود إلى الداخل.

وكان الابن "طارق" يرى الأمر غريبًا.

قال لها ذات يوم:

— يا أمي، ليه لسه محتفظة بالكرسي ده؟

قالت:

— أبوك كان بيقعد عليه كل يوم.

قال:

— بس أبويا مات من خمس سنين.

ابتسمت وقالت:

— عارفة.

— أمال؟

قالت:

— بعض الأشياء لا نحتفظ بها لأننا نحتاجها، وإنما لأننا نحتاج إلى ما تذكرنا به.

سكت طارق.

في تلك الليلة جلس على الكرسي لأول مرة.

كان ينظر إلى الشارع ويتذكر أباه.

تذكر كيف كان والده يعود من العمل متعبًا، ثم يناديه:

ـــ يا طارق، تعالى اقعد جنبي.

وكان طارق غالبًا يعتذر لأنه مشغول.

وفي تلك اللحظة فهم شيئًا لم يفهمه من قبل.

لم يكن والده يريد منه شيئًا.

كان يريد فقط أن يجلس ابنه بجواره.

بعد أيام بدأت الأم تمرض.

صار طارق يجلس بجوارها كل مساء على الكرسي نفسه.

وذات يوم قالت له:

ـــ أبوك كان مستنيك تقعد جنبه، وأنت كنت دايمًا مشغول.

ثم ابتسمت:

ـــ الحمد لله إنك اتعلمت قبل ما أروح أنا كمان.

نظر طارق إلى الكرسي.

وأدرك أن الكرسي لم يكن فارغًا أبدًا.

كان ممتلئًا بالذكريات.

العبرة

أحيانًا لا نعرف قيمة اللحظات العادية إلا عندما تصبح ذكريات.

اجلس مع من تحب، فربما تكون الجلسة التي ترفضها اليوم هي أكثر شيء ستشتاق إليه غدًا.

القصة الحادية عشرة

الحذاء القديم

كان "حمدي" يعمل إسكافيًا في دكان صغير.

كان يصلح الأحذية منذ ثلاثين عامًا.

وفي أحد الأيام دخل إليه رجل ثري يحمل حذاءً قديمًا جدًا.

قال:

ـــ عايز تصلحه.

نظر حمدي إلى الحذاء.

قال:

ـــ ده قديم جدًا.

قال الرجل:

ـــ عارف.

ـــ عندك أحذية جديدة أكيد.

ابتسم الرجل:

ـــ عندي.

ـــ أمال ليه ده؟

جلس الرجل على الكرسي وقال:

ـــ الحذاء ده كان بتاع أبويا.

سكت حمدي.

قال الرجل:

ـــ كان فقيرًا، وكان يلبسه كل يوم في شغله.

ـــ ومات؟

ـــ من عشرين سنة.

ثم أضاف:

ـــ لما مات، احتفظت بالحذاء.

بدأ حمدي العمل.

وبعد ساعة قال:

ـــ خلاص.

دفع الرجل المال.

وقبل أن يخرج قال:

ـــ ممكن أسألك سؤال؟

ـــ اتفضل.

ـــ ليه الناس بتحتفظ بحاجات قديمة؟

أجاب حمدي:

ـــ لأن بعض الأشياء لا تُقاس بسعرها.

نظر الرجل إليه.

قال حمدي:

ـــ أنت مش محتاج الحذاء... أنت محتاج أبوك.

سكت الرجل.

ثم قال:

— عندك حق.

خرج وهو يحمل الحذاء بين يديه كأنه يحمل كنزًا.

العبرة

قيمة الأشياء ليست دائمًا في مادتها، وإنما في الذكريات التي تحملها.

القصة الثانية عشرة

الطبيب والطفل

دخل الطبيب غرفة الطوارئ في ساعة متأخرة من الليل.

كان هناك طفل صغير يجلس بجوار أمه.

قال الطبيب:

— إيه اللي حصل؟

قالت الأم:

ـــ ابني تعبان من الصبح.

فحص الطبيب الطفل.

ثم قال:

ـــ محتاج عملية.

ارتبكت الأم:

ـــ عملية؟!

ـــ أيوه.

ـــ وتكلفتها كام؟

ذكر الطبيب المبلغ.

وضعت الأم يديها على وجهها.

قالت:

ـــ أنا معيش.

سكت الطبيب.

ثم قال:

ـــ العملية هتتعمل.

قالت:

ـــ بس أنا ما أقدرش أدفع.

قال:

ـــ ما تقلقيش.

دخل الطفل غرفة العمليات.

وبعد ساعات خرج الطبيب.

قال:

ـــ الحمد لله، العملية نجحت.

بكت الأم وقالت:

ـــ ربنا يجازيك خير.

ابتسم الطبيب.

بعد سنوات، كان الطبيب نفسه قد تقاعد.

وفي أحد الأيام جاءه شاب.

قال:

ـــ حضرتك الدكتور فلان؟

ـــ أيوه.

ـــ أنا الطفل اللي عملت له العملية من سنين.

لم يتذكر الطبيب.

قال الشاب:

ـــ أمي قالت لي إنك أنقذت حياتي.

ثم أعطاه ظرفًا.

قال الطبيب:

ـــ إيه ده؟

ـــ أنا بقيت طبيب، وده أول مرتب ليا.

رفض الطبيب.

قال الشاب:

ـــ مش فلوس العملية.

ـــ أمال؟

ـــ عايز أقول لك إن الخير اللي عملته ما انتهيش يوم العملية... الخير كمل لحد النهارده.

ثم قال:

ـــ وأنا هكمله مع غيري.

ابتسم الطبيب.

وفهم أن أجمل ما يفعله الإنسان ليس أن ينقذ حياة فقط، وإنما أن يجعل من أنقذهم قادرين على إنقاذ غيرهم.

العبرة

الخير الحقيقي لا ينتهي عند صاحبه، بل ينتقل من إنسان إلى إنسان.

القصة الثالثة عشرة

نصف رغيف

كان "إبراهيم" فقيرًا.

وفي أحد الأيام لم يكن معه إلا نصف رغيف.

جلس أمام منزله يأكله.

مر بجواره رجل غريب.

نظر إلى الرغيف.

فقال إبراهيم:

ـــ تحب تاكل؟

قال الرجل:

ـــ والله ما أكلتش من الصبح.

قسم إبراهيم الرغيف نصفين.

أعطاه نصفه.

جلسا يأكلان معًا.

بعد دقائق سأل الغريب:

ـــ بتشتغل إيه؟

قال إبراهيم:

ـــ أي حاجة.

قال:

ـــ تيجي تشتغل معايا؟

وافق.

كان الرجل صاحب مخزن كبير، وكان يبحث منذ فترة عن شخص أمين.

عمل إبراهيم معه.

وبعد سنوات أصبح شريكًا له.

وفي أحد الأيام قال له:

ـــ فاكر نص الرغيف؟

ضحك إبراهيم.

قال الرجل:

ـــ أنا كنت أختبرك.

ـــ تختبرني إزاي؟

ـــ كنت محتاج أعرف إذا كان الإنسان الفقير ممكن يشارك غيره في القليل الذي عنده.

ثم قال:

ـــ لما أعطيتني نصف رغيفك، عرفت أنك تستحق أكثر من وظيفة.

العبرة

الكرم الحقيقي يظهر عندما يكون ما تملكه قليلًا.

من يعطي من الفائض كريم، ومن يعطي وهو محتاج أكثر كرمًا.

القصة الرابعة عشرة

صورة على الحائط

كانت "سارة" تنظف منزل جدها.

وجدت صورة قديمة لرجل يقف بجوار جديها.

سألت:

ـــ مين ده؟

قال الجد:

ـــ صديق قديم.

ـــ فين دلوقتي؟

صمت.

قال:

ـــ مش عارف.

ـــ ازاي؟

قال:

ـــ اختلفنا.

ـــ على إيه؟

ـــ حاجة صغيرة جدًا.

ضحكت سارة:

ـــ وقطعتوا علاقتكم بسببها؟

قال:

ـــ وقتها كانت كبيرة في نظرنا.

ثم نظر إلى الصورة.

قال:

ـــ مرت أربعون سنة، ولسه مش فاكرين السبب.

سألته:

ـــ لو رجع بيك الزمن، كنت هتتصالح معاه؟

قال:

ـــ من غير تفكير.

ثم أضاف:

— يا بنتي، بعض الخلافات عمرها دقائق، لكن آثارها ممكن تعيش عمرًا كاملًا.

في اليوم التالي بحث الجد عن صديقه.

وبعد أسابيع وجده.

اتصل به.

سكت الاثنان طويلًا.

ثم قال أحدهما:

— كفاية بقى.

ضحك الآخر.

وبعد سنوات من الفراق، عادت الصداقة.

العبرة

لا تجعل خلافًا عابرًا يهدم علاقة ربما تحتاجها بقية عمرك.

القصة الخامسة عشرة

النافذة المقابلة

كانت "منى" كل صباح تنظر من نافذة منزلها إلى بيت الجيران.

وكانت ترى امرأة تنشر الملابس.

قالت لزوجها:

ـــ الست دي مش بتغسل هدومها كويس.

قال:

ـــ يمكن.

وفي اليوم التالي قالت:

ـــ لسه الهدوم متسخة.

استمر الأمر أسابيع.

وفي أحد الأيام نظرت من النافذة وقالت:

ـــ أخيرًا غسلت الهدوم كويس.

ضحك زوجها.

قال:

ـــ أنا غسلت زجاج شباكنا النهارده.

سكتت.

ذهبت إلى النافذة.

واكتشفت أن الملابس كانت نظيفة طوال الوقت.

المشكلة كانت في الزجاج.

العبرة

أحيانًا لا يكون العيب في الآخرين، وإنما في الطريقة التي نرى بها الآخرين.

القصة السادسة عشرة

النجاح المتأخر

كان "نبيل" في الخمسين من عمره عندما قرر أن يبدأ الدراسة من جديد.

ضحك أصدقاؤه.

قال أحدهم:

ـــ هتعمل إيه بالشهادة دلوقتي؟

قال:

ـــ مش عارف.

ـــ أمال بتدرس ليه؟

أجاب:

ـــ لأن الحلم اللي مات وأنا صغير لسه عايش.

درس سنوات.

فشل مرة.

ثم مرتين.

لكنه لم يستسلم.

وفي سن الخامسة والخمسين حصل على شهادته.

وقف أمام أسرته يحملها.

قالت ابنته:

ـــ أنا فخورة بيك.

ابتسم.

ثم قال:

ـــ الناس قالت لي إني بدأت متأخر.

قالت:

ـــ وبدأت فعلًا متأخر.

ضحك.

قال:

ـــ لكني وصلت.

العبرة

التأخر عن البداية أفضل من أن تعيش بقية حياتك نادمًا لأنك لم تبدأ.

ليس هناك عمر محدد للأحلام.

القصة السابعة عشرة

الرجل الذي اعتذر

كان "ماجد" قد ظلم صديقه القديم "فؤاد".

اتهمه أمام الناس بشيء لم يفعله.

مرت السنوات.

ثم اكتشف ما حدث.

كان فؤاد قد انتقل إلى مدينة أخرى.

بحث عنه ماجد حتى وجده.

ذهب إليه.

فتح فؤاد الباب.

قال ماجد:

— جاي أعتذر.

قال فؤاد:

— بعد السنين دي؟

— أيوه.

— ليه؟

— لأن الغلط ما بيبطلش مع الوقت.

سكت فؤاد.

ثم قال:

ـــ أنا سامحتك من زمان.

قال ماجد:

ـــ طيب ليه ما رجعتش علاقتنا؟

أجاب:

ـــ لأن التسامح شيء، والثقة شيء آخر.

فهم ماجد.

لم يطلب شيئًا.

قال فقط:

ـــ أنا آسف.

ثم رحل.

وبعد أشهر، اتصل فؤاد به.

قال:

ـــ عايز نشرب قهوة؟

ابتسم ماجد.

كانت تلك القهوة بداية عودة الصداقة.

العبرة

الاعتذار الصادق لا يضمن أن تعود الأمور كما كانت، لكنه يفتح الباب أمام الإصلاح.

القصة الثامنة عشرة

المصباح

كان الحي ينقطع عنه التيار الكهربائي كثيرًا.

وكان رجل عجوز يضع مصباحًا أمام منزله كل ليلة.

سأله أحد الأطفال:

ـــ ليه بتحط المصباح بره؟

قال:

ـــ عشان الناس تشوف الطريق.

قال الطفل:

ـــ بس أنت عندك نور جوه البيت.

ابتسم العجوز:

ـــ أنا عارف.

ـــ أمال؟

ـــ مش كل الناس عندها نور.

كبر الطفل.

وأصبح مهندسًا.

وفي أحد الأيام عاد إلى الحي.

وجد العجوز قد مات.

لكنه وجد المصباح ما زال معلقًا أمام المنزل.

اقترب منه.

وكان قد وضع بجواره ورقة كتب فيها:

"علمني هذا الرجل أن الإنسان لا ينبغي أن يحتفظ بالنور لنفسه."

العبرة

من الجميل أن تنير طريقك، والأجمل أن تساعد الآخرين على رؤية الطريق.

القصة التاسعة عشرة

حين عاد الابن

غادر "كريم" بلدته صغيرًا.

كان غاضبًا من أبيه.

قال له:

ـــ أنت ما فهمتنيش أبدًا.

سافر.

مرت عشرون سنة.

نجح كريم وأصبح رجل أعمال.

ثم وصله خبر مرض أبيه.

عاد.

دخل المنزل.

وجد أباه ضعيفًا.

اقترب منه.

قال الأب:

ـــ رجعت يا ابني؟

قال:

ـــ أيوه.

ابتسم الأب.

ـــ كبرت.

جلس كريم بجواره.

ثم قال:

ـــ أنا زعلان منك.

قال الأب:

ـــ عارف.

ـــ ليه ما حاولتش تمنعني من السفر؟

قال الأب:

ـــ لأنك كنت محتاج تروح عشان تعرف قيمة المكان اللي خرجت منه.

بكى كريم.

ثم قال:

ـــ وأنا فهمت متأخر.

رد الأب:

ـــ المهم إنك فهمت قبل ما يفوت الوقت.

العبرة

قد يختلف الأب والابن، لكن الحب الحقيقي لا يختفي بسهولة.

القصة العشرون

الورقة البيضاء

كان المدرس يوزع أوراق الامتحان.

قال للطلاب:

ـــ أمامكم ساعة.

بدأ الجميع الكتابة.

أما "يوسف" فظل ينظر إلى الورقة.

مرت عشر دقائق.

ثم عشرون.

اقترب المدرس.

قال:

ـــ في مشكلة؟

قال يوسف:

ـــ مش عارف أبدأ.

قال المدرس:

ـــ اكتب أي حاجة تعرفها.

بدأ يوسف.

ثم توقف.

ثم كتب.

وفي النهاية سلم الورقة.

كانت إجاباته قليلة.

لكنها كانت صحيحة.

بعد التصحيح، حصل على درجة جيدة.

قال المدرس:

ـــ تعرف أنت اتعلمت إيه النهارده؟

ـــ إيه؟

ـــ إن الورقة البيضاء لا تعني أنك لا تعرف، وإنما تعني أنك لم تبدأ.

ظل يوسف يتذكر تلك الجملة طوال حياته.

وعندما كبر وأصبح رجل أعمال، كان كلما واجه مشكلة يقول لنفسه:

"ابدأ... ثم فكّر وأنت تمشي."

العبرة

أصعب خطوة في كثير من الأحيان هي الخطوة الأولى.

القصة الحادية والعشرون

المقعد الأخير

دخل رجل كبير السن إلى قاعة المحاضرات.

كانت كل المقاعد الأمامية مشغولة.

جلس في آخر القاعة.

بدأ المحاضر يتحدث عن النجاح.

وقال:

ـــ النجاح يحتاج إلى بداية قوية.

رفع الرجل يده.

قال:

ـــ هل تسمح لي بسؤال؟

ـــ تفضل.

قال:

ـــ أنا عندي سبعون سنة، هل فاتني وقت النجاح؟

ساد الصمت.

قال المحاضر:

ـــ لا.

قال الرجل:

ـــ لماذا؟

أجاب:

ـــ لأن النجاح ليس سنًا، بل أثر.

ابتسم الرجل.

وقال:

ـــ إذن ما زال عندي وقت.

وفي اليوم التالي بدأ مشروعًا صغيرًا.

وبعد سنوات أصبح المشروع مؤسسة خيرية كبيرة.

وكان يقول دائمًا:

"لو كنت صدقت أن المقعد الأخير يعني أن كل شيء انتهى، لما بدأت."

العبرة

لا تجعل موقعك الحالي يقنعك بأن مستقبلك قد انتهى.

القصة الثانية والعشرون

مفتاح البيت

احتفظت "أمينة" بمفتاح قديم في درج صغير.

كان مفتاح منزلها الأول.

سألها ابنها:

ـــ ليه محتفظة بيه؟

قالت:

ـــ ده أول بيت عشنا فيه.

قال:

ـــ البيت اتباع من زمان.

قالت:

ـــ عارفة.

ثم أعطته المفتاح.

وقالت:

ـــ مش كل المفاتيح بتفتح أبوابًا.

استغرب.

قالت:

ـــ بعضها بيفتح الذكريات.

احتفظ الابن بالمفتاح.

وبعد سنوات، عندما ماتت أمه، وجده في مكتبه.

أمسكه.

وفهم أخيرًا ما كانت تقصده.

العبرة

هناك أشياء لا تفتح أبواب الأماكن، بل تفتح أبواب القلب.

القصة الثالثة والعشرون

الرسالة الأخيرة

كان الأب يكتب رسالة لابنه.

كتب:

"يا ابني، لو أنت بتقرأ الرسالة دي، فأنا غالبًا مش موجود."

توقف.

ثم أكمل:

"أنا آسف على كل مرة كنت قاسي عليك فيها."

توقف مرة أخرى.

"وأنا فخور بك، حتى في الأيام التي لم أقل لك فيها ذلك."

ثم كتب:

"لا تجعل الحياة تأخذك بعيدًا عن أولئك الذين يحبونك."

وضع الرسالة في درج مكتبه.

لكنه مات قبل أن يعطيها لابنه.

بعد وفاته وجد الابن الرسالة.

قرأها مرة.

ثم مرة أخرى.

وفي النهاية بكى.

لم يكن يعرف أن أباه كان يحمل كل هذا الحب بداخله.

العبرة

لا تنتظر مناسبة أو مرضًا أو فراقًا لتقول لمن تحب إنك تحبه.

الكلمات التي لا نقولها قد تصبح أثقل الكلمات بعد رحيل أصحابها.

القصة الرابعة والعشرون

آخر الطريق

كان رجل يسير في طريق طويل.

حمل حقيبة ثقيلة.

مر به رجل وقال:

ـــ لماذا تحمل كل هذا؟

قال:

ـــ هذه أخطائي.

قال له:

ـــ ولماذا لا تتركها؟

قال:

ـــ لأنها جزء مني.

قال الرجل:

ـــ لا، هي جزء من ماضيك، وليست جزءًا من مستقبلك.

فتح الرجل حقيبته.

أخرج منها شيئًا بعد شيء.

ندم.

غضب.

حقد.

خوف.

ثم تركها.

لأول مرة شعر أن الطريق أصبح أخف.

قال:

ـــ لماذا لم أفعل ذلك من قبل؟

أجابه:

ـــ لأن الإنسان أحيانًا يعتاد حمل ما يؤلمه حتى يظن أنه جزء من شخصيته.

ثم أكمل الرجل طريقه.

وكانت خطواته هذه المرة أسرع.

العبرة

لا تحمل معك إلى المستقبل أشياء انتهى دورها في الماضي.

سامح، وتعلم، ثم امضِ.

القصة الخامسة والعشرون

عندما ابتسم الفقير

جلس رجل غني في مطعم فاخر.

وبجانبه كان طفل فقير ينظر من خلف الزجاج.

طلب الرجل الطعام.

ثم لاحظ الطفل.

خرج إليه.

قال:

ـــ نفسك في إيه؟

قال الطفل:

ـــ أي حاجة.

دخل الرجل معه.

جلس الطفل على الطاولة.

طلب أغلى الأطعمة.

ثم قال الرجل:

ـــ ليه اخترت ده؟

قال الطفل:

ـــ عشان عمري ما أكلته.

بعد أن انتهيا، أعطاه الرجل مالًا.

رفض الطفل.

قال:

ـــ أنا مش عايز فلوس.

ـــ أمال؟

ـــ عايز آكل تاني معاك.

ضحك الرجل.

ثم قال:

ـــ ليه؟

قال الطفل:

ـــ عشان النهارده أول مرة حد يعاملني كأني إنسان مهم.

سكت الرجل.

كانت الجملة أثقل عليه من أي شيء.

فهم أن الطفل لم يكن يحتاج الطعام فقط.

كان يحتاج إلى الكرامة.

العبرة

قد تعطي الإنسان مالًا فينساه، لكنك إذا أعطيته احترامًا وكرامة فقد يتذكرك طوال حياته.

القصة السادسة والعشرون

الصديق القديم

كان "عمر" في أشد أوقات حياته صعوبة.

اتصل بعشرة أشخاص.

لم يرد أحد.

ثم تذكر صديقًا قديمًا لم يكلمه منذ سنوات.

اتصل.

جاءه الرد:

ـــ عمر؟

ـــ أيوه.

ـــ إيه الأخبار؟

قال عمر:

ـــ محتاجك.

لم يسأله لماذا.

قال:

ـــ أنا جاي لك.

وصل الصديق بعد ساعة.

ساعده في حل مشكلته.

قبل أن يغادر قال عمر:

ـــ ليه ساعدتني بعد السنين دي؟

قال:

ـــ لأن الصداقة الحقيقية لا تحتاج إلى تحديث مستمر.

ثم ابتسم:

ـــ بعض الناس حتى لو غابوا، يظل لهم مكان محفوظ في القلب.

العبرة

الصديق الحقيقي لا يظهر عندما تكون الحياة جميلة، بل عندما تضيق بك الحياة.

القصة السابعة والعشرون

الرجل والمرآة

كان رجل كثير الشكوى.

يلوم الناس.

يلوم الظروف.

يلوم الزمن.

وفي يوم دخل إلى متجر قديم.

وجد مرآة كبيرة.

وقف أمامها.

قال:

ـــ الدنيا ظالماني.

سمع صوتًا خلفه:

ـــ مين قال لك؟

التفت.

كان صاحب المتجر.

قال الرجل:

ـــ كل الناس ضدي.

قال صاحب المتجر:

ـــ بص في المراية.

نظر الرجل.

قال:

ـــ وبعدين؟

قال:

ـــ الشخص الوحيد اللي تقدر تغيره واقف قدامك.

ظل الرجل صامتًا.

ثم خرج.

ومنذ ذلك اليوم بدأ يغير نفسه بدلًا من أن يلوم العالم.

العبرة

أحيانًا يكون أول إصلاح للحياة هو أن نتوقف عن البحث عن المذنبين ونبدأ بالبحث عن مسؤوليتنا.

القصة الثامنة والعشرون

هدية بلا اسم

كان رجل يضع كل شهر مبلغًا صغيرًا في صندوق تبرعات أمام مسجد.

لا يكتب اسمه.

ولا يخبر أحدًا.

وفي أحد الأيام سأله طفل:

ـــ ليه ما تكتبش اسمك؟

قال:

ـــ عشان اللي أديه بإيدي اليمين ما تعرفش عنه الشمال.

قال الطفل:

ـــ يعني محدش يعرف إنك كويس؟

ابتسم الرجل:

ـــ يكفيني أن يعرف الله.

كبر الطفل.

وصار يفعل الشيء نفسه.

وبعد سنوات قال له ابنه:

ـــ مين علمك؟

قال:

ـــ رجل لم أعرف اسمه.

العبرة

أجمل الأعمال ما كان خالصًا لله، بعيدًا عن طلب المدح والثناء.

القصة التاسعة والعشرون

فرصة ثانية

كان "رامي" قد أخطأ كثيرًا.

قال الناس:

— لن يتغير.

لكنه قرر أن يبدأ من جديد.

ذهب إلى الرجل الذي ظلمه.

اعتذر.

ثم أصلح ما أفسده.

ثم بدأ يعمل.

واجه السخرية.

قالوا:

ـــ أنت بتحاول تمثل علينا.

لم يرد.

استمر.

مرت سنة.

ثم سنتان.

وفي النهاية أصبح شخصًا مختلفًا تمامًا.

جاءه أحد الذين سخروا منه وقال:

ـــ أنت اتغيرت فعلًا.

قال رامي:

ـــ الناس أحيانًا تحكم عليك من النسخة القديمة منك.

ثم ابتسم:

ـــ لكن من حق كل إنسان أن يصنع نسخة أفضل من نفسه.

العبرة

لا تجعل أخطاء الماضي حكمًا مؤبدًا عليك.

الإنسان قادر على التوبة والإصلاح والتغيير.

القصة الثلاثون

حكاية لم تنتهِ

في نهاية العمر، جلس رجل عجوز أمام نافذته.

سأله حفيده:

— جدي، إيه أكتر حاجة ندمت عليها؟

فكر قليلًا.

ثم قال:

ـــ الأشياء اللي خفت أعملها.

ـــ زي إيه؟

ـــ كلمة حب ما قلتهاش.

ـــ وقرار ما أخدتوش.

ـــ واعتذار أجلته.

ـــ وحلم خفت أبدأه.

قال الحفيد:

ـــ يعني ندمت على حاجات ما حصلتش؟

ابتسم الرجل.

وقال:

ـــ أحيانًا يا بني، الإنسان لا يندم على ما فعله فقط... بل يندم أكثر على ما كان يستطيع فعله ولم يفعله.

نظر الحفيد إلى جده.

قال:

ـــ وأنا هعمل إيه؟

أجابه:

ـــ عش حياتك، لكن لا تجعل الخوف هو الذي يكتب قصتك.

ثم نظر إلى السماء.

وقال:

ـــ أنا حكايتي قربت تخلص...

ثم ابتسم:

ـــ لكن حكايتك لسه بتبدأ.

الخاتمة

وهكذا تنتهي صفحات هذا الكتاب، لكن الحكايات التي تصنعها الحياة لا تنتهي.

قد تكون بعض هذه القصص قد جعلتك تتذكر أبًا، أو أمًا، أو صديقًا، أو شخصًا فقدته منذ سنوات.

وقد تكون قصة منها قد ذكرتك بحلم تركته، أو بكلمة لم تقلها، أو باعتذار أجلته.

وهذا هو أجمل ما يمكن أن تفعله القصة:

أن تجعل الإنسان يتوقف لحظة...

ثم ينظر إلى نفسه.

فالحياة ليست طويلة كما نتخيل.

والأشخاص الذين نحبهم ليسوا دائمًا معنا.

والفرص لا تنتظر إلى الأبد.

فإذا كان في قلبك حب، فأظهره.

وإذا كان عليك اعتذار، فاعتذر.

وإذا كان هناك حلم، فابدأ.

وإذا أخطأت، فأصلح.

وإذا استطعت أن تفعل خيرًا، فلا تؤجله.

ولا تنتظر أن تصبح غنيًا حتى تكون كريمًا، ولا مشهورًا حتى تكون نافعًا، ولا قويًا حتى تكون رحيمًا.

فقد يكون أبسط موقف منك أعظم حكاية في حياة إنسان آخر.

وفي النهاية...

كل إنسان يكتب قصة حياته كل يوم.

فاحرص أن تكون قصتك جديرة بأن تُروى.

تمت بحمد الله